كلاوديا كيمفرت

موجات الصدمات

فرصة أخيرة لتأمين مصادر الطاقة والسلام

دار نشر كامبوس
فرانكفورت/نيويورك

مقدمة

موجة صدمة مِن وراء موجة صدمة: صدمة الحرب، وصدمة الطاقة، وصدمة الأسعار، وصدمة التضخم، وصدمة المناخ. نحن في خضم حرب الطاقة الأحفورية التي تدخل الآن مرحلتها النهائية. بدأت مواجهة العصر الأحفوري. تخوض قوى الماضي معركتها الأخيرة ضد قوى المستقبل؛ وتخوض الأوتوقراطية معركة ضد الديمقراطية. إن استبداد الإمبراطورية الأوليجارشية، التي لا تهتم إلا بنفسها، يحارب حرية الإعلام والعلم والناس. الأشخاص الذين يريدون أن يكون العالم ملكهم يقاتلون ضد الأشخاص الذين يريدون أن يكون العالم ملكًا للجميع. الأكاذيب تحارب الحقيقة.

كم هو مروّع أن تصل الأمور إلى ذلك الحد! البلد يسير نحو الهاوية. أوضاع الناس سيئة، والفقراء منهم وضعهم أسوأ. يموت الناس في أوكرانيا. إنه سيناريو الرعب المطلق.

لكن الجميع الآن مستيقظين. الآن سيصبح كل شيء على ما يرام. الجميع يهتم. يشتري أحدهم جهازًا لتوليد الطاقة ليضعه في شرفة منزله، والآخر يقود طواعية بسرعة 100 كم / ساعة فقط، والثالث يقوم بتثبيت مضخة حرارية، والرابع ينزل من الطائرة ويستكمل رحلته بالقطار. من حيث المبدأ، هذه هي الفكرة الصحيحة: نحن جميعًا جزء من الحل. يتعين على كل فرد تقديم مساهمة ذات أهمية.

ولكن لسوء الحظ، يحدث الكثير من الأشياء فقط بطريقة قصيرة النظر: يشتري الناس بدافع الذعر المدافئ ذات المروحة، ويشترون الحطب؛ حتى أن البعض يشتري في عُجالة سخان غاز جديد. ألمانيا تبرم عقود غاز جديدة، وتبني محطات للغاز المُسال. إلا أن الاستغناء الحقيقي عن الاعتماد على الطاقة الأحفورية يبدو مختلفًا. إنه لأمر مزعج بشكل خاص أن السياسيين لا يجرؤون على طلب أي شيء من الناس. ويعتقد سائق سيارات الدفع الرباعي الرياضية أن: "الأمر لا يمكن أن يكون بهذا السوء، وإلا لتم حظر سيارتي منذ فترة طويلة." وبدلاً من القيام أخيرًا بما يجب القيام به، فإننا نلقي بالمسئولية على غيرنا ونأمل أن تسير الأمور إلى الأفضل.

لذلك تستمر موجات الصدمة الجديدة في ضرب العالم بالخوف والرعب، بينما تسير صفقات الوقود الأحفوري بسعادة، وتتدفّق أموال المستهلكين في آلة اقتصادية، هي التي تصنع بنفسها موجات الصدمة تلك.

يا له من أمرٍ مُفزع: هل يجب أن ينهار المتجر تمامًا قبل أن يفهم الجميع ما يحدث فعلًا؟ لماذا يجب أن تحدث الكارثة أولاً؟ لماذا نتصرف دائمًا بشكل رد الفعل وليس بشكل وقائي؟

أنا لست الأولى ولست الوحيدة التي رأت الأشياء قادمة. لقد حذرت من ذلك، وقدمت اقتراحات بشأن ما يمكن القيام به بشكل أفضل. لماذا كنت ومازلت متأكدةً جدًا من كل ما أقول؟ ـ لأنني كعالمة لمدة 25 عامًا لا أتعامل مع أي شيء سوى الاقتصاد والطاقة والمناخ وحماية البيئة والسياسة ـ وكذلك مع روسيا!

على مر السنين، كثيرًا ما رأيت كيف تمت مهاجمة الحقائق العلمية باستخدام حجج سخيفة، وكيف تم التعامل معها بغطرسة وجهل، أو تم تحريفها أو السخرية منها. كم مرة رأيتُ بلا حول ولا قوة مني كيف أثرت الادعاءات الكاذبة والشعبوية على القرارات السياسية، وقادتنا في النهاية إلى هذه الفوضى المروعة.

كيف وصل الأمر إلى هذا الحد؟

منذ عصر النهضة، أي بداية العلم الحديث القائم على الأدلة، نما عدد الجامعات والكليات والمعاهد والمختبرات ومنشآت البحث من جميع الأنواع بشكل مطرد. وتحوّلت مؤسسات الفكر والرأي الفردية إلى مؤسسات فكرية عالمية، ذات إنتاج هائل، لم يزدد فقط بشكل كبير من حيث الكمية، ولكن أيضًا من حيث الجودة. إذا كان جوته لا يزال يُحتفل به باعتباره باحثًا عالميًا، فبعد 200 عام أصبح لدينا الكثير من المعرفة، لدرجة أن شخصًا واحدًا لم يعد قادرًا على أن يُحيط بها. هذا هو بالضبط ما تحوّل الآن إلى مشكلة. نظرًا لوجود معرفة أكثر بكثير مما يمكننا الإحاطة به، وفهمه بشكل فردي، أصبح من

الواجب علينا أن نثق. أو، كما يقول البعض، "نعتقد". لكن هذا "الاعتقاد"، الذي يبدو غير ضار، هو في الواقع مفهوم يستخدمه أعداء العلم.

لا، نحن لا نعتقد. نحن نعلم.

على عكس الأباطرة والملوك الذين كانوا يحكمون في الماضي قبل الديمقراطي باسم الرب، لا ندّعي أننا توصلنا إلى المعرفة باعتبارها إلهامًا إلهيًا. لا، المعرفة التي لدينا اليوم ليست امتيازًا أرستقراطيًا. نحن لا تهمس في آذاننا في أحلامنا في الليل قوة روحية فوقية برسالة ما. ولا تُفرض المعرفة على الناس عن طريق سلطة استبدادية باعتبارها الحقيقة الوحيدة.

لا، لقد نمت معرفتنا العلمية في إطار عملية ديمقراطية وشفافة وتحت ضوء النهار. كما يتم اختبار تلك المعرفة وفحصها باستمرار. ويتم توفيرها مجانًا لمجتمع عالمي مدني مهتم. بناءً على ذلك، يمكن للناس التشاور بحرية وطريقة عادلة مع بعضهم البعض، واستخلاص استنتاجات تتوافق مع قيمهم. يمكننا الاعتماد على آليات العلم الحر هذه في عالم منظم ديمقراطيًا.

لقد فكك تفاعل العلم والديمقراطية التحالف السابق بين الحكم الملكي والدين وحل محله. وقد كان التنوير بداية حركة ديمقراطية لم تُتم طريقها بعد. تتسم تحالفات نبالة الدم القديمة بالإصرار القوي، لكن قوى التحرير الإنسانية أقوى.

لا ينشأ عداء اليوم للعلم من الرغبة في التنوير والتحرير، بل على العكس من ذلك، فهو ينبع من قوة سلطوية تسعى إلى أن تكون قوة عظمى. إنها تدعي فقط أنها تخدم الناس، في حين تنهب الكوكب، وتفرض ديونًا موروثة جديدة على الناس، يجب سدادها على مدى أجيال. الإمبراطورية الأحفورية هي شبكة واسعة تمتد عبر العالم بأسره. ليس الروس ولا الأمريكيون ولا السعوديون، إنهم الأحفوريون.

لا تملك هذه القوة ممثلًا للرب على الأرض، ولا أبًا مقدسًا يركع الجميع أمامه، ولا زعيم كنيسة، وإنما العديد من الرؤوس - مثل "هيدرا"، تنين الماء

الأسطوري ذو التسعة رؤوس. كانت هيدرا أخت سيربيروس، كلب الجحيم، والكايميرا، التي أصبح اسمها مرادفًا للهلاوس والأوهام، وأبو الهول، شيطان الدمار والشر. يا لها من عائلة مافيا!

كان الفوز على هيدرا في المعركة شبه مستحيل. كلما قُطع لها رأس، نما رأسان جديدان. فقط هيراكليس، الرجل ذو القوى الخارقة، وجد طريقة لقتل الوحش، ولكنه لم يفعل ذلك بمفرده. كان بجانبه ابن أخيه يولاوس، الذي رافقه كسائق لعربته في جميع مهامه. هزموا معًا هيدرا: بمجرد أن قطع هيراكليس رأسها بهراوته، أمسك يولاوس بالشعلة وأحرق العنق المقطوع، حتى لا ينمو رأس جديد مرة أخرى.

لماذا أحكي هذه القصة؟ لأنني بدأت خطابًا مهمًا قبل سنوات عديدة، في الاحتفال بالعام الجديد للجمعية الاتحادية للطاقات المتجددة (BEE)، بالكلمات التالية: "يُعد التحوّل في استخدام الطاقة مهمة ضخمة. يمكن للمرء أن يقول: مهمة شاقة. لحسن الحظ، أصبح لألمانيا أخيرًا وزير للطاقة. ولكن هل هو أيضًا هيراكليس؟"

سمعت فيما بعد أن وزير الطاقة في ذلك الوقت، شعر بالسخرية من خطابي، وعلى الرغم من أنه رفض الدعوة الأصلية، إلا أنه ظهر فجأة في الاحتفال السنوي فقط ليرُد لي الإهانة. حسنًا، لقد كنتُ جادةً، ولم أرغب في السخرية من أي شخص.

التحول في استخدام الطاقة مهمة تحتاج إلى هيراكليس. ويجب أن نفهم أنه لا يمكن لأحد أن يقوم بها بمفرده. لأن هذه المهمة الشاقة لها أهداف أبعد من التوقف عن استخدام الوقود الأحفوري. يتعلق الأمر باقتصاد سوق اجتماعي - بيئي يراقب نفسه بنفسه بشفافية، ويجدد نفسه باستمرار في ضوء الفصل بين السلطات الذي تنظمه سيادة القانون. يتعلق الأمر بالتعايش الذي يتسم بالعدل والرعاية. كما يتعلق الأمر بالديمقراطية؛ والحرية؛ والسلام.

أنا لست مقاتلةً، لكنني مستعدة لمد يد العون، من خلال مد شُعلة العلم لمنع رؤوس هيدرا الأحفورية من النمو مُجددًا. أيًا كان من ينطلق لقيادة المعركة

ضد التنين الذي يُفترض أنه لا يقهر - فلن أوجِّه أنا العربة، لكنني سأكون سعيدةً بتوجيه النظرة. وآمل أن تُضيء شعلتي بما يكفي لتُتيح رؤية العديد من رؤوس التنانين بوضوح.

أود من خلال هذا الكتاب أن أفتح منظورًا على الماضي، من أجل إلقاء الضوء بشكل أفضل على الحاضر. لقد عشتُ العشرين عامًا الماضية كشاهدة على العصر. آمل أن تساعد تجربتي الشخصية في مواجهة تحديات المستقبل بشكل أكثر نجاحًا؛ إذ لن تكون هناك بداية جديدة قوية دون مراجعة صادقة للقرارات السياسية والاقتصادية السابقة.

لهذا السبب أبحث في هذا الكتاب عن أسباب الصدمة: بالنسبة للمجتمع، كانت بداية الحرب العدوانية الروسية ضد أوكرانيا نوعًا من الصحوة من سبات طويل، ولكنها لم تكن كذلك بالنسبة للعلم.

تُعد الطاقة سلاحًا في خطة بوتين الرئيسية. ما هو واضح اليوم كان يمكن في وقت مبكر التعرف عليه كنموذج مُتوقّع. حذر العلم، لكن السياسيين رفضوا رؤيته. بدلاً من ذلك، تم استخلاص دروس واستنتاجات خاطئة - وهذا على الرغم من حقيقة أن هناك بالفعل عديد من الحلول الممكنة التي ظهرت بالفعل بسبب موجات صدمة أخرى.

كيف عرف بعض الناس ما ينتظرنا قبل أن يحدث بوقتٍ طويل؟ متى بدأ الاعتماد على روسيا، لماذا كنا نثق في بوتين كثيرًا، وما هو الدور الذي لعبه الاقتصاد والسياسة في ذلك؟ ألم تفهم أنجيلا ميركل، بوصفها فيزيائية، مشكلة الطاقة والاعتماد على روسيا حقًا؟ على أي حال، لم يكن جيرهارد شرودر ساذجًا وعلى نيّاته.

هناك عوائق قوية وذات تأثير مالي قوي منعت بشكل استراتيجي التحول في استخدام الطاقة؛ وهذه ليست مشكلة ألمانية بحتة. لقد أثّرت مجموعات الضغط والشركات الضخمة بشكل متعمد على السياسة والرأي العام، مما أضر بأسس الديمقراطية. السياسيون المسئولون لم يتعلموا من الأخطاء حتى يومنا هذا. على أي حال، لم نعد بحاجة لتقنيات انتقالية. كما أننا لسنا بحاجة إلى الخوف من تراجع التصنيع أيضًا. علينا فقط أن نرفع قدمنا أخيرًا عن مكابح انتقال الطاقة.

إن السياسيين والشعب، أي نحن جميعًا، يمكننا تحرير أنفسنا من جمود الصدمة، ويمكننا معالجة الأزمات المتعددة باستخدام استراتيجيات مواجهة فعّالة. يُعد انتقال الطاقة أكثر من مجرد تغيير بسيط في مصادر الطاقة؛ إنها فرصتنا الأخيرة للحصول على الطاقة الآمنة والسلام.

برلين / أولدنبورج في شتاء 2023/2022